بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس الكنيسة في الثلاث قرون الأولى

المحاضرة الخامسة

الأدب المسيحي في الثلاث قرون الأولى - د. مشيل بديع عبد الملاك

عندما نتحدث عن الآداب المسيحية فكلمة آداب هي عبارة عن لفظ يقال على علوم الأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب تُطلق على الأشياء المُتعارف عليها ويقبلها الناس وبالنسبة لآداب البحث والمُناظرة ما بين شخصين أو جماعات فهي فيها مجموعة من القواعد التي تُعني في بيان وتنظيم هيئة المشاورات.

بالنسبة لتعريف المُصطلح فيعد الأدب أحد الألوان فهو لون تعبيري و إنساني حول تعبير الإنسان وعواطفه ومخاوفه وهذه يُعبر عنها بإستخدام الأساليب الكتابية المتنوعة وهذه تعطي مجال واسع للتعبير، نشير بأن الأدب يتعلق باللغة بطريقة كبيرة جداً لأن اللغة أو الثقافة فيتم تدوينها وتحفظ على هيئة الأدب بأشكاله المختلفة وأطلق الأدب على ما يُكتب في الأعمال الشعرية والنثرية التي بها بعض الخيال والتصوير أما بالنسبة للآداب فيوجد أنواع كثيرة جداً في الآداب الخاصة بالفلسفات، بالعلوم المختلفة أما بالنسبة للمسيحية بالنسبة للعلوم المسيحية فيوجد لدينا أنواع متعددة فمثلاً الآداب القبطية وهي النصوص القبطية التي ظهرت في فترة ما وتُستخدم في الكنيسة أو تُستخدم في البحث ويوجد الآداب الخاصة بآباء الكنيسة فعندما نتحدث عن الآداب المسيحية فيوجد فترات وأحقاب فنرى الآداب والنصوص التي ظهرت أو كُتبت في فترات معينة مثلاً يوجد الفترة الأولى وهي النصوص التي كُتبت فيها الرسائل التي سُجلت في الكتاب المقدس والأناجيل الأربعة وأعمال الرسل وهكذا ثم تأتي فترة أخرى من الآداب المسيحية التي نُسميها الآداب الآبائية.

أولاً: ظهور الأدب المسيحي:

١. التقاليد الشفوية:

فنتحدث بالطبع عن ظهور الأدب المسيحي من حيث التقاليد الشفوية والصيغ ما قبل الأدبية نقصد الكتابات التي ظهرت قبل آباء الكنيسة في القرن الأول الميلادي فنستطيع القول أن ما بين موت السيد

المسيح وقيامته مر حوالي ثلاثون عاماً وظهر الأدب المسيحي الأول فكان السيد المسيح يُعلن عن تعاليمه شفاهياً فلم يكن أحد يدون هذه الكتابات والمجتمعات المسيحية الأولى في البداية لم ترى انه يوجد سبب لكتابة هذه الكتابات لان شهود العيان (الآباء الرسل) من سمعوا وعاينوا الرب يسوع عاشوها شخصياً وكانوا يشهدوا ويعلموا بها في الإجتماعات المسيحية بعد حلول الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين بالإضافة لذلك كان كل المسيحين يُطلق عليهم لقب منتظروا الملكوت مثال نرى كلمات القديس بولس الرسول أحياناً أنه يختم الرسائل بكلمة الرب آتي وهذا كان إشتياق المسيحين وكان هدفهم مجيئ الرب الثاني وأن يعيشوا معه للأبد وهذه حُفظت في الكنيسة إلى الأن في قانون الإيمان فننهي قانون الإيمان (وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الأتي) فهذا كان إشتياق الجماعات المسيحية الأولى في ذلك الوقت ظهرت بعض الصيغ قبل كتابة الآداب المسيحية فهذه الصيغ تُسمى الصيغ ما قبل الأدبية مثل في الحياه اليومية للآباء أو في الجماعات المسيحية كان يوجد نصائح وتعليمات مثل العظات من أشهرها: التعاليم التي تتحدث عن الفضيلة والرزيلة مثل التي في رسالة غلاطية "**وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً، عَهَارَةٌ، نَجَاسَةٌ، دَعَارَةٌ،عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، سِحْرٌ، عَدَاوَةٌ، خِصَامٌ، غَيْرَةٌ، سَخَطٌ، تَحَزُّبٌ، شِقَاقٌ، بِدْعَةٌ،حَسَدٌ، قَتْلٌ، سُكْرٌ، بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ .وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ." (غل٥: ١٩- ٢٣)**

أيضاً كان يوجد بعض التعبيرات والتعاليم العظات الإرشادية للحياة الأسرية في كولوسي "**أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ .أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا قُسَاةً عَلَيْهِنَّ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لأَنَّ هذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ. أَيُّهَا الآباء، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ لِئَلاَّ يَفْشَلُوا."
(كو٣: ١٨- ٢١).**

فهي عظات بسيطة تحذيرية لكي تعيش الجماعات المسيحية الناشئة الحياة المسيحية كما تسلمناها من الآباء القديسين وكذلك نجد أنه نشأت بعض التعبيرات التي أخذت من البيئة اليهودية وهذه تتحدث عن طريقين طريق الحياة وطريق الموت أي طريق الفضيلة وطريق الشر وموجودة في رسالتي برنابا وديداخي وهي من الآباء الرسوليين فسنجد أن هذه الرسائل تتحدث عن الخير والشر والنور والظلام وكلها عظات تحذيرية.

٢. الليتورجيات:

نجد في الصلوات والتراتيل والتعبيرات الليتورجيا مثل كلمات (أمين – هليلويا – أوصنا) هذه كلها تعبيرات أخذت من المجمع اليهودي ووضعت في الصلوات الكنسية في القرن الأول المسيحي.

أيضا الصلاة الربانية في إنجيل متى – نشيد التسبيح للمسيح الذي قالته السيدة العذراء **"فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي، لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ، وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ."** (لو ١: ٤٦– ٥٠)

هذه كلها صلاوات موجودة في الليتورجيات الأولى للكنيسة وإذا رأينا ليتورجياتنا نجد أن الكنيسة حفظت هذه الصلاوات التي كات تردد في الجماعات علانية في حضور الجماعة المسيحية الأولى وهذا يثبت التواصل بين الوقت الحاضر وصلواتنا والصلاوات في الكنيسة الأولى أيضاً البركة الموجودة في لوقا **"مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ،وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ"** (لو ١: ٦٨– ٧٠).

٣. أيضاً في التعليم المسيحي (الكاتيشيزما):

هذا لنقاء الإيمان داخل الجماعة وأيضاً لتقديم التعليم الصحيح للذين أتوا من البيئة الوثنية وقبلو الإيمان المسيحي فكان يوجد إعداد لتلقي المعمودية فكان الناس تقضي فترة إعداد للمعمودية ثم يحدث فحص على مدى صدقهم في الحياة المسيحية وإنضمامهم للجماعة المسيحية فكان يوجد صيغ قصيرة إستلموها مثل صيغة قانون إيمان مختصرة مثل **فَقَالَ فِيلُبُّسُ: «إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ». فَأَجَابَ وَقَالَ: «أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ."** (أع٨: ٣٧) فكانت هذه صيغة تقال للمعمدين على أساس أنهم يعلنون إيمانهم كنوع من قانون الإيمان أيضاً في إنجيل متى عندما أرسل السيد المسيح التلاميذ **"فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ."** (مت٢٨: ١٩).

٤. العظات التبشيرية:

عبارة عن صيغ وعظيه تلخص العظة كنوع من الكرازة مثل **"لأَنَّهُ مِنْ قِبَلِكُمْ قَدْ أُذِيعَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ، لَيْسَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ فَقَطْ، بَلْ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَيْضًا قَدْ ذَاعَ إِيمَانُكُمْ بِاللهِ، حَتَّى لَيْسَ لَنَا حَاجَةٌ أَنْ نَتَكَلَّمَ شَيْئًا. لأَنَّهُمْ هُمْ يُخْبِرُونَ عَنَّا، أَيُّ دُخُولٍ كَانَ لَنَا إِلَيْكُمْ، وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ، لِتَعْبُدُوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي."** (١تس١: ٨–١٠)

أيضاً الصيغ التي تؤكد على وحدانية الله فمثلاً **"أَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ**

الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ." (١كو٨: ٥-٦)

نلاحظ أن التعبير "إيس – Ic" تستخدمه الكنيسة عندما يقول الشعب "إس باتير أجيوس – Ic Πατηρ ἁγιος" بمعنى واحد هو الآب القدوس" أو الكلي القداسة أو الفائق القداسة فتعبير الوحدانية من التعبير الذي إستخدمته الكنيسة الأولى لتؤكد على وحدانية الله في حياتنا المسيحية.

يوجد أيضاً فئة أدبية منفصلة عن التقليد الشفوي لكلمات وأعمال يسوع مثل التعبيرات التي ذكرت في الكتاب المقدس ولم تذكر في الرسائل الأربعة وتسمى "αγραφον - Agrapha - أجرافا" يعني غير مكتوبة غير مدونة لكلمات الرب يسوع ولم تذكر في الأناجيل القانونية ولكن وجدت في مصادر أخرى فنجد في العهد الجديد يقول القديس بولس الرسول "**فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ**" (أع٢٠: ٣٥).

هذا تعبير قاله الرب يسوع ونقل شفاهاً ولم يذكر في الأناجيل الأربعة القانونية، أيضاً في أبوكريفا العهد الجديد وفي بعض كتابات آباء الكنيسة في بعض التعاليم والأقوال التي ربما تكون صدرت عن الرب يسوع، ويوجد برديات التي تم التنقيب عنها في القرن التاسع عشر مثل بردية اوكسيرسيوس الموجودة بالقاهرة، وأيضاً بعض الأناجيل التي رفضت من الكنيسة مثل إنجيل توماس الغنوسي وهذا عثر عليه بنجع حمادي وبعض الكتب الأخرى، نشر عديد من "الأجرافا" الغير مدونة عبارة عن إختراعات من بعض الهراطقة بغرض خاص بيهم وهذه مجموعات وطوائف هرطوقية لدعم التعاليم الخاص بهم والبعض الأخر كان يستخدم هذه التعاليم مثل إشتقاق من الأناجيل القانونية ولكن لا نستطيع أن نقنن هذه الكتب أو هذه التعاليهم أنها كتب قانونية في الكنيسة لأن الكنيسة أجمعت على القانون الكتاب المقدس.

لكي نتحدث عن الآداب المسيحية السؤال الأن ما هي الآداب المسيحية التي نشأت في القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي؟

نقسمها إلى مجموعات:

١ –ما قبل كتابة الآباء الرسل:

في هذه الفترة الأناجيل القانونية وأيضاً وضع قانون الكتاب المقدس وظهر أيضاً بعض الكتب من جماعات غنوسية هرطوقية ونست التعاليم لهم أنها تعتبر كتب إنجيلية حتى أنها أناجيل وبالطبع الكنيسة رفضت هذا الفكر الغنوسي.

٢-مجموعة الكتابات الآبائية:

بدأت من أواخر القرن الأول الميلادي وبالطبع إستمرت حتى القرن الخامس وفيما بعده أيضاً في هذه الفترة ظهرت جماعات هرطوقية مثل الجماعات الغنوسية وهذه جماعات كانت منتشرة في مناطق أسيا وأيضاً في بلادنا مصر وكان لهم هدف أخر غير الحياة الروحية.

فعندما نتحدث عن هذه المجموعات الأدبية نقسمها حسب العصور والأحقاب التي ظهرت فيها لكن في هذه الفترة نتحدث عن الأناجيل الأربعة، الرسائل، وأيضاً نتكلم عن الكتب التي رفضتها الكنيسة (الجماعات الغنوسية).

- أقدم قطعة من الأدب المسيحي التي وصلت إلينا هي الرسالة الأولى للقديس بولس الرسول لأهل تسالونيكي وهذه مكتوبة سنة ٥١م أو ٥٢م تبعها رسائل أخرى للقديس بولس لأهل غلاطية وكورنثوس وفيليبي وفليمون ورومية هذا مثال جيد لظهور الأدب المسيحي ولكن كان الغرض منها ليس بقصد كتابة عمل أدبي وكانت لضرورة عملية لأن إنتشار المسيحية جعل الإتصال الشخصي صعب إن القديس بولس يعمل رحلات تبشيرية أخرى في ذلك الوقت كانت هناك صعوبات كثيرة جداً فكان الشكل المكتوب في الرسال هو بديل للإتصال الشخصي فبالتالي نجد أن الرسالة الفعلية رسالة لا تنتمي في البداية إلى الأدب ولكن حُفظت فيما بعد وضُمت للآداب المسيحية، قبل المسيحية بفترة طويلة كانت الثقافة اليونانية والرومانية تطورت أيضاً ثقافة كتابة الرسائل فكان يوجد أيضاً بعض كتابة الصيغ المعينة ربما أقتبسها القديس بولس الرسول مثل شكل الخطابة و التحية والختام ومحتوى الرسالة لكن كانت تأخذ البعد المسيحي في عمل رعوي لأن القديس بولس الرسول عندما كان يرسل الرسائل إلى الكنائس التي تأسست سواء في اليونان أو أسيا الصغرى كان لابد أن يهتم بها إهتمام رعوي.
- بعدها بحوالي ٢٠ عام سنة ٧٠م نشأ النوع الثاني من الآداب المسيحية وهي الأناجيل فهذه حُفظت فيها تعاليم السيد المسيح للأجيال القادمة فبعد ٤٠ عام من موت المسيح وقيامته كان المسيحين منتظرين مجيئ المسيح فكان لابد أن تدون هذه التعاليم والكتب فظهر إنجيل القديس مرقس عام ٧٠ وبعده إنجيل القديس لوقا عام ٨٠ وإنجيل متى عام ٩٠ او ٩٥ وإنجيل يوحنا عام ١٠٠ في نهاية القرن الأول الميلادي، وكان كل قديس من الإنجليين يوجه رسالة إلى جماعة مُعينة فالقديس مرقس وجه رسالته للمجتمع الهيليني (اليوناني) القديس لوقا للمجتمع اليهودي المسيحي فكل منهم كان له رسالة موجهه إلى جماعة مُعينة فمثلاً

القديس مرقس كان يشرح سر المسيح ويتكلم عن أول ظهور للمسيح و يوحنا المعمدان ومعمودية السيد المسيح، القديس متى تحدث عن الفداء وربط العهد القديم بالعهد الجديد.

- ❖ ظهر نوع ثالث من الآداب كتبه القديس لوقا الإنجيلي وهو سفر أعمال الرسل.
- ❖ سفر الرؤيا السفر النبوي الذي يتحدث عن الأمور الأخيرة.

تعتبر هذه المرحلة الآداب المسيحية أو ما قبل الآداب المسيحية وهي كانت الأساس لان أتت بعدها مرحلة آباء الكنيسة كانت تعاليمهم في الأصل مؤسسة على تعاليم الآباء الرسل. ونحن ككنيسة أرثوذكسية أساسنا في التعليم ثلاثي (الكتاب المقدس – التقليد الكنسي – تعاليم الآباء الرسل).

✓ ما هو التقليد الكنسي؟

الذي نطلق عليه "بارادوسيس – παραδόσεις – Paradosis" واستخدمت هذه الكلمة في العهد الجديد لا تترجم إلى المحاكاة يعني المماثلة ولكن الكلمة اليونانية تشير إلى ما يُسلم باليد فتشتق من الفعل اليوناني "باراديدوميا – Paradidomi" أي يعوض عن شيء بأخر أو ما يسلم من شخص لأخر يداً بيد الفعل الذي يتفق في المعنى مع الفعل السابق هو "بارالامفانن – Paralambano" وهذا معناه يتقبل أو يتسلم شيء أصل الفعل "باراديدوميا – Paradidomi" اشتقت من الكلمة "بارادوسيس – παραδόσεις" فهي يسلم أي يعطي وديعة أو عطية وعندما يضاف إليه المقطع "بارا – παρα" فإن الفعل يصبح "باراذيذومي" يعني العطاء أو التسليم باليد وأستخدم هذا الفعل في إنجيل القديس مرقس عندما تسلم بيلاطس السيد المسيح من مجمع السنهدريم وأستخدم أيضاً في إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع وكذلك في رسالة كورونثوس الأولى فبالطبع يوجد تعبيرات كثيرة عن التعبير "بارادوسيس – Paradosis" ولكن نتحدث عن ما قاله القديس بولس الرسول عن هذا التعبير أو التسليم نفسه، العهد الجديد وكتابات الآباء تؤكد التسليم وتحرص عليه ويشهد لهذا التسليم بكل وضوح القديس لوقا مؤكد أنه أخذه من الكنيسة فيقول "**إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ،**" **(لو ١: ١– ٣)** وكما نرى يعرض القديس لوقا التسليم مع الوثائق في نص واحد ولكن كما هو واضح أن صحة الوصية يشهد به ما عاينوا الأحداث والذين خدموا الكلمة.

الكنيسة بدأت حياتها بما تسلمته من الروح من خلال الرسل والكارزين وإنتقلت حقائق الإنجيل الإيمانية عن طريق إنتشار الكرازة بالخلاص وعاشت الكنيسة منذ فجر تاريخها المُبكر حقيقة إيمانها بما تسلمته وما قامت بدورها بتسليمه مثل ما نقول في الصلوات الليتورجيا "كما كان هكذا يكون" فنحن ننقل التسليم الذي تسلمناه من السابقين إلى الأجيال التي تأتي بعدنا وبالتالي فكل الذين قاموا بالعمل الكرازي لاحق أو مُصاحب لعمل الرسل لم يعيشوا في فراغ كما إنهم لم يأتوا من فراغ لكن ولدوا روحياً أو جسدياً في وسط جماعة تنقل حقائق الخلاص إستناداً لهذه المعرفة فأي تفصيل خاص بشخص الرب يسوع ومواصفات شخص المخلص تناقلت مسلمة من الأوساط الكرازية فالقديس بولس الرسول لم يحد عن هذه القاعدة فهو عاش في صحبة الرسل الذين إعتبرهم أعمدة وعرض عليهم الإنجيل الذي يكرز به فقال ***لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً*** لذلك نجد أن كرازة القديس بولس كانت إستلاماً ونقلاً للعقائد الإيمانية الأساسية التي كانت للكنيسة وأيضاً القديس بولس الرسول في رسائله كان ينقل حتى التعبيرات الليتورجيا التي كانت الجماعات المسيحية تستخدمها في الكنيسة الأولى.

التسليم كان له دور مهم في إعداد آباء الكنيسة كقادة تحمل من قبل الروح القدس مسئولية السهر على حفظ الإيمان والتعليم المسلم للقديسين مثلما نجد في سفر الرؤيا وأيضاً في رسالة يوحنا الأولى الإصحاح الأول.

من بعض الأمور الإيضاحية نجد القديس إكليمنضس الإسكندري عن خلفاء الرسل يقول "قد حفظ هؤلاء الأشخاص على التقليد الحقيقي للتعليم المبارك المسلم مباشرة من الرسل القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس إذ كان الإبن يستلم عن أبيه حتى وصل إلينا بإرادة الله لنحافظ على هذه البذار الرسولية".

نقل هذا الكلام يوسابيوس القيصري في تاريخ الكنيسة.

بابيوس يقول "ولكني لن أتردد أيضاً أن أضع أمامكم تفسيري كل ما تعلمته من الشيوخ الذين عاصروا الرسل وعاينوهم وكل ما أذكره بحرص ضماناً لصحته لأني لم أتذ بمن يقدمون وصايا غريبة بل بمن يقدمون وصايا الرب للإيمان الصادر من الحق نفسه".

إذن التسليم في الكنيسة مُسلم به ونحن أيضاً نتبع هذا التسليم.

- **حقبة الآباء:**

الآداب الآبائية هي مجموعة من الأدبيات تشمل الأعمال باستثناء العهد الجديد كتبها المسيحيون في القرون الأولى للمسيحية.

مثل آباء الإسكندرية أو آباء كنيسة أنطاكية فكتابتهم تعتبر كتابات آبائية.

الأدب الآبائي يُعرف بالأدب المسيحي في القرون المسيحية المُبكرة بغض النظر عن أرثوذوكسيته، آباء الكنيسة الذين أفرزوا من الكنيسة مثل أبوليناريوس كان أسقف اللاذقية من الآباء الأساقفة الذين اشتركوا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م المجمع المسكوني لدحض بدعة أريوس ووقع على قطع أريوس من شركة الكنيسة كان له كتابات آبائية ولكن فيما بعد إبتدأ أبوليناريوس يأخذ نفس خط أريوس ويُعلم بأن السيد المسيح كان له طبيعة (نفس) إنسانسة غير عاقلة، فقطعته الكنيسة من شراكتها.

فيوجد آباء في القرون الأولى أساقفة وآباء كان لهم كتابات فنحن ندرس هذا الخط لمعرفة هذه الكتابات لكن كتعاليم غريبة عن المسيحية لم تُقبل في الكنيسة.

- **فترة ما قبل نيقية:**

مجمع نيقية عام ٣٢٥م كان على الكنيسة أن تخرج أولاً من البيئة اليهودية والهيلينية (اليونانية) لأن الجماعة المسيحية الأولى تشكلت عبارة عن أشخاص من اليهود الذين قبلوا الإيمان المسيحي وأيضاً الوثنين (الأمم) الذين قبلوا الإيمان المسيحي. كان بعض هؤلاء يريدوا أن يحتفظوا ببعض العوائد اليهودية والأمم يريدوا الإحتفاظ بالفلسفات القديمة التي كانوا يعيشوها وهذه بدعة الغنوسيةكنوع من إختراق الكنيسة لنشر الفكر الغنوسي.

⇦ الأدب المسيحي الذي أتى بعد الآباء الرسوليين كتاباتهم تعكس حياة المسيحين الأوائل ثم يتحدث عن الآباء المدافعين الذين كانوا يدافعون عن الإيمان.

أولاً الآباء الرسوليين الذين حافظوا على الإيمان:

من هم الآباء الرسوليين؟ أهمية كتابات الآباء الرسوليين وجود أربعة محاور يكتبوا فيها:

١-حفظ الإيمان: من الجماعات الغنوسية وأيضاً من اليهود الذين يريدوا أن يعيشوا الإيمان المسيحي بفكر يهودي.

٢-الحفاظ على سلامة الكنيسة ووحدتها: نجد في كتابات الآباء الرسوليين أنهم كانوا يحاولون الحفاظ على سلامة الكنيسة ووحدتها وأهم رسالة هي رسالة القديس إكليمنضس الروماني إلى كنيسة كورنثوس.

٣-العلاقة بين الأسقف والشمامسة والرعية.

٤-الجذور الأولى للصلاوات الليتورجيا بينهم في الكنيسة.

من هؤلاء الأشخاص؟ نستطيع أن نتحدث عن بعض الآباء الرسوليين:

١-الديداخي (تعاليم الرسل الإثنى عشر).

٢-رسائل القديس إغناطيوس الإنطاكي سبعة رسائل.

٣-بوليكاربوس.

٤-رسالة برنابا.

ومجموعة من الرسائل التي كان الآباء الرسوليين يتحدثون في كتاباتهم.

نجد أن تعاليم الآباء الرسوليين ترجع أهميتهم للتقليد بإعتباره أنه مصدر الإيمان الذي جعل لكتاباتهم وأراء الآباء أهمية كبرى لأنه حجة لصراعه ضد الوثائق أو الكتب المزورة في الصراع مع الأريوسين والغنوسين فيما بعد ولا يخفي على صراعات الكنيسة مع الهراطقة كانت تدور حول تفاسير خاطئة للنصوص التي كان يستخدمها الهراطقة ليفندوا بها بها بدعهم.

- أريوس كان يأخذ بالفكر الفلسفي بعض الأيات من الكتاب المقدس ليدعم بها فكره ولكن للكنيسة كان لها دور كبير ضد تعاليم وفكر أريوس.
- الآباء الأولون كان لهم طرق في التعليم فكانوا يكتبوا عن طريق الرسائل التعليمية، رسائل موجهه للحكام، رسائل التعزية، رسائل لاهوتية، رسائل دفاع، رسائل فصحية مثل رسائل القديس اثناسيوس.
- أيضاً يوجد كتب أو بعض المواعظ التي كانت تقدم.
- الوعظ كان شئ مهم جداً في الكنيسة الأولى وأيضاً كان يوجد نصوص عقائد ونصوص ليتورجيا الذي حفظته لنا الكنيسة إلى الأن أيضاً يوجد بعض الآباء كانوا يستخدموا الشعر في الكتابة لكي يقدموا الفكر اللاهوتي.
- يوجد التنظيم الكنسي والتفاسير الكتابية وأيضاً الكتب التاريخية وكتب لاهوتية.
- كتابات الآباء الرسوليين التي تعتبر من الآداب المهمة جداً في الكنيسة.

١- تعاليم الرسل الإثنى عشر:

من الرسائل الهامة التي ظهرت في الكنيسة الأولى عبارة عن جزئين كُتبت بين عام ٩٠ إلى ١٠٠م وتعترف بقوة وصحة الوصايا العشر والوصايا الأخلاقية للعهد الجديد عبارة عن رسالة بها جزئين لا تربطهم علاقة ببعض.

الأولى بعض الوصايا الأخلاقية يتكلم عن طريقين طريق الحياة وطريق الموت وهذا يُرينا أن الكنيسة في القرون الأولى كانت تحرص على أنها تحث الموعوظين الجدد الذين قبلوا الإيمان على أنهم أصبحوا في مواجهة سُلطان الظلمة لذلك الكنيسة رتبت في الأسبوع الأول من الصوم الأربعيني المُقدس أن تقرأ إنجيل متى في التجربة على الجبل لأن الكنيسة كانت تقبل الموعوظين وتعدهم للعماد في ليلة عيد القيامة فكان يوم السبت مساءً يحتفلون بالمعمدين الجدد فكانت الكنيسة تعمل لهم فترة إعداد وعظي وتعليمي.

ويثبت هذا الكلام القديس غريغوريوس النيزينزي كان يقول في عظاته الـ٣٩ و٤٠ يوم عيد الغطاس كان يتكلم مع الموعوظين كي يستعدوا للعماد.

فتعاليم الرسل الإثنى عشر على ما يبدوا أنها كانت رسالة تقرأ على المعمدين الجدد حيث:

- ✓ الجزء الأول فيها يتكلم عن الوصايا الاخلاقية في العهد القديم ولكن تضع في المرتبة الأولى وصايا الموعظة على الجبل الوصايا التي يقتادوا بها.
- ✓ الجزء الثاني لتعاليم الرسل الإثنى عشر تتكلم عن التقاليد التي كانت تمارسها الكنيسة بالنسبة لممارسة المعمودية والإفخارستيا.

٢- رسالة إكليمنضس الروماني:

كان أسقف رومية ثالث أسقف للكنيسة في روما من عام ٩٢م إلى ١٠١م وهذه الرسالة كتبت إلى كنيسة كورنثوس عام ٩٦م في نهاية القرن الأول الميلادي رسالة بها اقتباس من العهد القديم.

والسبب أنه حدث نزاع بين الشباب ورجال الكنيسة فكي لا يحدث انشقاق في الكنيسة كان أسقف روما يشعر أنه أسقف للكل أيضاً فأرسل رسالة إلى كنيسة كورنثوس كي يقول جذور الخلاف فبدأ يتحدث من العهد القديم منذ قتل قايين لهابيل، ثم أعطاهم بعض التعاليم.

"فيليق بنا أيها الأخوة أن نلتصق بهذه الأمثلة لأنه مكتوب إلتصقوا بالقديسين لأن الذين يلتصقون به يصيرون قديسين وفي موضع أخر يقول نتمثل أيضاً بأولائك الذين طافوا بجلود غنم وجلود ماعز مبشرين بإنجيل المسيح".

فيقول أعني إيليا، أليشع، حزقيال بين الأنبياء هؤلاء والأخرين الذين شهدوا له أيضاً الكتاب المقدس.

إذاً الرسالة تتحدث عن وحدة الكنيسة وأهميتها.

والرسالة الثانية لإكليمنضس وُجدت في مخطوطتين بالنص اليوناني مكتوبة باللغة السريانية.

٣- القديس إغناطيوس الإنطاكي:

- ⇦ من الآباء الكبار في الكنيسة ثاني أسقف لإنطاكية كان تلميذ يوحنا الإنجيلي إستشهد في مدينة رومية عام ١١٠م أثناء الاضطهاد الذي حدث للمسيحين في عهد الملك ترجان في القرن الثالث، هو أول أب كنسي أشار لأهمية مكانة العهد القديم في حياة الكنيسة.
- ⇦ لاحظ أن الكنيسة تحرص أن تستخدم فقرات كاملة من العهد القديم في صلاواتها وليتورجياتها. مثال في تسابيح نصف الليل نستخدم المزامير – تسبحة مريم وموسى وهارون الجزء الاول اسبوع الالام وأسابيع الصوم نستخدم فقرات كثيرة في العهد القديم.
- ⇦ لان نشط في عصره بعض الجماعات الهرطوقية في أسيا الصغرى وكانت تمثل كل إتجاهات الغنوسية واليهودية لان الغنوسيون يرفضون الاخذ بكتاب العهد القديم ويحقروا من أهميته فكان القديس إغناطيوس في رسائله يحث المؤمنين على العهد القديم.
- ⇦ فكما يقول القديس أثناسيوس الرسولي أن الكتاب المقدس وحدة واحدة لا نستتطيع أن نفصل بين العهدين عن بعضهما في التعاليم المسيحية الأرثوذكسية وبحسب تعاليم آباء مدرسة الإسكندرية ندرس العهد القديم من خلال شخص الرب يسوع لذلك نستطيع فهم محتوى العهد القديم والنبوات الموجودة فيه.
- ⇦ القديس إغناطيوس واجه الجماعات الهرطوقية على أساس إيضاح مفهوم العهد القديم وأهميته بالإضافة للإعلان عن حقيقة الرب الحي والرسل. فيقول في فقرة "أتضرع إليكم أن تبتعدوا عن كل روح يعمل للشقاقات وأن تفعلوا وفقاً لتعليم المسيح سمعتهم إني أول إذا لم أجد ذلك عند الأقدمين لا أومن بالأنجيل وعندما أقول لهم إن ذلك مكتوب يجيبوني هذا هو الموضوع، النصوص بالنسبة لي هي يسوع المسيح النصوص هي صليبه وموته وقيامته والإيمان الذي هو من عنده".
- ⇦ القديس إغناطيوس أختير ما بين عشرة جنود أتوا ليقبضوا عليه من إنطاكية ويذهبوا به لساحة الإستشهاد في رومية. وهو في الطريق تقابل مع ممثلي سبعة كنائس فيقول إني كنت مُقتاد من عشرة فهود وليس جنود كنت عندما اتلاطف معهم وأقدم لهم المحبة وهم مقتادينه فيزدادوا شراسة فقال تعبير جميل جداً: "كنت أعتبر هذا بداية تلمذتي للمسيح". فهذه رسالة لشعب كنيسة رومية لأنه إستشهد فيها.
- ⇦ ربط فكر الإستشهاد بالليتورجيا بالافخاريستيا ولذلك أرسل لهم رسالة لإحساسه ومعرفته إنه فور وصوله كان شعب كنيسة رومية في إنتظاره ليعتزلوه ويمنعوه عن الإستشهاد ولكن قال

لهم مادام المذبح مُعد وأنتم تمثلوا جوقة حول المذبح أمثولة للخلود وترنموا لأن أسقف إنطاكية جاء من الشرق ليقدم حياته على مذبح الإستشهاد. فقال لهم أنا أكون خبز أطحن بين أنياب الأسود.

⇦ وإستشهد القديس إغناطيوس الإنطاكي في مدينة رومية.

٤ – رسالة برنابا:

رسالة تعتبر أنها كتبت بين عامي ١١٥م إلى ١٤٠م وأشغل كاتب الرسالة بالفهم الصحيح للعهد القديم لأن كاتب الرسالة من بيئة يهودية ولكن كُتبت في مدينة الإسكندرية لأن كان فيها فكر تعليم مدرسة الأسكندرية (التفسير الرمزي) الذي ظهر في مدرسة الأسكندرية نشأ في الأساس لفيلسوف أو المؤرخ فيلو الذي نشأ في الأسكندرية نقل الفكر الرمزي من الربيين اليهود وبعدما تأسست مدرسة الأسكندرية تحول هذا التفسير إلى تفسير مسيحي وأول من أشتغل فيه هو بنتينوس مدير مدرسة الأسكندرية اللاهوتية ثم جاء أكلمنضس وبعده أوريجانوس وبعدها بدأ التفسير الرمزي يأخذ بُعد أخر غير التفسير اليهودي الذي وضعه فيلو الإسكندري.

⇦ رسالة برنابا بدأت تكتب عن التعاليم اليهودية وكان ينتزع العهد القديم من أيدي اليهود فيقول لهم "أصبح هذا العهد القديم ليس في أيديكم لأنكم لم تفهموا الرسالة". فإبتدأ أن يتكلم عن بعض الأمور الموجودة في الرسالة والمفاهيم الموجودة فيها فكان يحاول في البدء نزع العهد القديم من اليهود لأنهم فقدوا تماماً العهد بسبب إنسياقهم لعبادة الأوثان في الوقت الذي صعد فيه موسى على الجبل إلا إنهم بعودتهم إلى عبادة الأصنام فقدوا العهد وإبتدأ يقول "عليكم أن تتبصروا أرجوكم كواحد منكم يحب الكل يحبكم أكثر من نفسه. أن تنتبهوا لنفوسكم ولا تشابهوا بعض الناس الذين يكدسون الخطايا فوق خطاياهم".

⇦ بدأ يتكلم عن بعض الممارسات التي كان يمارسها اليهود ولم يفهموا العهد القديم فبدأ في وصية الصوم (تحرم أكل الخنزير والنسر والغراب) يقول هذا يرتبط بخصائص هذه الحيوانات والطيور الطبيعية فيهدف إلى أن يُرجع البشر عن التمثل بهذه الحيوانات.

⇦ يقول "لم يكن عدم الأكل أمراً إلهياً لأن موسى تكلم عن الأكل بالروح وبطريقة رمزية تكلم أولاً عن الخنزير وقد عُني بذلك ألا يكون لك إتصال بمن كانت أخلاقهم كالخنزير أي أولئك الذين ينسون الرب وهم في حياة التنعم يتقلبون".

⇦ عندما تتحدث عن النسر هو من الطيور المفترسة يقتنص الفريسة يطلب منهم لا يتمثلوا بطباع النسر.

⇦ كان له بعض التفاسير الرمزية مثل إبرام والختان حيث كانت رسالة برنابا تصل إلى قمة الرباط بين الرمزية والتفسير التيبولوجي فيما يختص بتفسير الرموز الرقمية فمثلاً في سفر التكوين يقول إن إبرام أعد نزلائه الذين كانوا يخدموه ٣١٨ "تعلموا أيها الأبناء الأحباء وإعرفوا أن إبراهيم الذي طبق الختان أول الجميع طبقه روحياً واضعاً المسيح نصبه عينيه وقد حصل على كل التعليم بأحرف ثلاثة" يقول الكتاب حول هذا الموضوع أن إبراهيم ختن رجال أهل بيته وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر.

⇦ فأراد أن يقول من خلال هذا الفكر أن إبراهيم بدأ يرى شخص المسيح وهو في القرون ما قبل مجيء المسيح.

٥- من الرسائل الأخرى:

❖ **رسالة بابياس:**

بابياس أسقف هيرابوليس من أحد الآباء الرسوليين ولد من عام ٦٠م إلى ٧٠م وكان أسقف على هيرابلس في تريجيا بأسيا الصغرى يذكر القديس إيريناؤس أن بابياس كان يعرف القديس يوحنا وكان يعتبر دائماً كرجل الذي يعتبر عالي المعرفة وعالم الكتاب.

أعمال بابياس ضاعت لكن من أشهر الأشياء التي حُفظت له هو الاصطلاح (إيرمينيا) وتعني التفسير وفقرات كثيرة من كتابات بابياس ذكرها يوسابيوس القيصري وإريناؤس بتجعلنا نخمن أن التعبيرين (التفسير) و(الشرح) لهم معنى فني عند بابياس.

"أنا لن أتردد في أن أضيف إليكم على التفسيرات كل ما تعلمته والأن أنا أتذكره جيداً لأني ضامن لصدقها لأني لست كالكثيرين الذين يسرون بمن عندهم الكثير ليقولوه بل إني أسر بمن يعلم الحق بحسب ولا أسر بمن يرددون وصايا الغير".

❖ **رسالة الراعي لهرماس:**

تضم إلى الأسفار الرعوية مثل سفر الرؤيا وتتكلم عن إنسان كان عبد لإحدى السيدات ثم تركها وكان يحزن على أن أولاده تركوا طريق الخطية وظهر له الراعي في شكل ملاك وإبتدأ يقوده لطريف الفضيلة وكان نفس فكرة سفر الرؤيا موجودة عند هرماس الذي يتكلم فيها عن الأمور الروحية.

❖ الكتابات الغنوسية:

غنوسي كلمة يونانية تعني حب المعرفة أو العارفين بالله فكانوا يعتبروا أنهم يعرفون كل شئ ويتكلموا عن الثنائية وعن إله الشر وإله الخير كان له مبدأ فلسفي واحد أن المادة شر لذلك لم ياكلوا اللحوم وكان عنهم فكر أن يتخلصوا من المادة فحتى الجسد يعتبر شرير فيجب التخلص منه لذلك لم يتزوجوا، لأن فكر التزاوج يظهر جيل أو أولاد معنى ذلك أنهم سوف يساعدوا على انتشار الشر، كانوا يرفضوا العهد القديم وبعض رسائل الكتاب المقدس وكانت عبارة عن جماعات كانت خطيرة وظهرت في أسيا ومناطق كثيرة جداً ولكن الأب الروحي لهم هو سيمون الساحر.

ومنهم فاسليدس وفالنتينوس والقديس إيريناؤس والقديس إكليمنضس السكندري كان لهم كتابات كثيرة جداً ضد هذه الجماعات لكن أخطر جماعة (الخياليين) فكانوا يعتبروا أن المسيح جسده كان جسد خيالي لذلك أيضاً القديس إغناطيوس في اواخر القرن الأول كتب ضد الجماعات الغنوسية وقال "الذي رأيناه حقاً الذي ولد حقاً الذي صُلب حقاً) كلمة حق ليؤكد على حقيقة جسد السيد المسيح و كانت هذه الجماعات خطيرة تلك الجماعات ولهم بعض التفاسير الغريبة مثل تفسير موت الأطفال كان لديهم فكرة أن الخليقة خُلقت على مراحل والإنسان خلق على طبقة روحية عالية جداً وعندما سقطت نزلت إلى مستوى الروح بمعني أن الروح مرتبة ثانية عندما سقطت كان لابد أن تنزل إلى مستوى الجسد تقضي فترة عقوبة لذلك يقول أن الأطفال مقدار الخطأ لهم بسيط لذلك فترة عقوبتهم على الأرض ضعيفة أو قصيرة.

والكنيسة كان لها موقف من الكتابات الغنوسية لأن الكتابات الغنوسية إنتشرت في الكنيسة وكان لها تأثير كبير.

- **الآباء المدافعون:**

ظهروا في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي كان أغلبهم من البيئة الوثنية أي جاءوا من الفلاسفة مثل يوستينوس الشهيد فكانوا يريدوا أن يعرفوا المسيحية بمنطلق أن يبحثوا عن الحقيقة فإتجه البعض منهم إلى الفلاسفة كي يصل إلى الحقيقة، والبعض التجأ إلى الموسيقيين ليعرفوا الحقيقة فبدأوا يتجهوا للإيمان المسيحي ويقبلوه كانوا على طبقة مثقفة عالية جداً كانوا يقفوا أمام الحُكام ليدافعوا عن المسيحين.

من أشهر الكتابات التي ظهرت في المنتصف الثاني في القرن الثاني الميلادي الرسالة إلى ديوجنتيس رسالة موجه لإنسان يريد معرفة من هم المسيحين فإبتدأ كاتب الرسالة (المجهول) يبدأ يقول له أن المسيحين مثل الروح في الجسد منتشرين في كل مكان في العالم وإبتدأ يتكلم عن المسيحين لأن المسيحين أتهموا إتهامات أخلاقية وأنهم أكلي لحوم البشر فكان الآباء القديسين المدافعين يدافعوا عن الآباء الذين كانوا يُقدموا لساحات الإستشهاد كانوا يكرسوا حياتهم للدفاع عن المسيحين ومن أهمهم يوستين الشهيد وكان قد كتب حوار لتريفون وكان إنسان يهودي كتب نوعين من الدفاع وجاء أخرين كان لهم دور كبير جداً في الكتابة.

الفترة الثالثة هم الآباء الذين يتبعون المدارس التعليمة التي وجدت في بداية القرن المسيحي الأول والثاني والثالث والرابع وأيضاً لدينا آباء مدرسة الإسكندرية وآباء مدرسة انطاكية ونستطييع أن نتكلم عن كل كتابات القديس إكليمنضس الإسكندري وأيضاً بعض ما ترك لنا من كتابات بانتينوس وأيضاً كتابات أوريجانوس لأن هؤلاء أتوا قبل مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م كل هذه الكتابات حفظت لنا فنستطيع أن نقول أن كتابات الآداب المسيحية هي كتابات الإنجيلين الأربعة حسب قانون الكنيسة والقديس أثناسيوس الرسولي في رسالته العاشرة الفصحية كتب عن قانون الكتاب المقدس أي قوانين الكنيسة وفي هذه الفترة ظهرت الكتب المزيفة المنحولة التي نسميها الأبوكريفا العهد القديم وأيضاً كان يوجد أبوكريفا العهد الجديد ولكن الكنيسة أفرزتها ثم ندخل للمرحلة الثانية وهي مرحلة كتابات آباء الكنيسة تعتبر نبع مهم لأنهم إستندوا على كل ما كُتب في الكتاب المقدس وفي الرسائل التي حفظت لنا في العهد الجديد ونقسمهم إلى مراحل (الآباء الرسوليون – الآباء المدافعون – آباء ما قبل نيقية) في كل ذلك لا ننسي إنه كان يوجد كتابات مسيحية ولكن أفرزت من الكنيسة لأنهم كانوا يستخدموا النصوص الإنجيلية ولكن الكنيسة كانت حريصة مثل كتابات الجماعات الغنوسية، كتابات الآباء الذين كانوا متحدين معنا في الإيمان ولكن أفرزتهم الكنيسة بسبب سقوطهم في الهرطقات فهذه أيضاً نضمها إلى الكتابات المسيحية في القرون الثلاثة الأولى.

ولإلهنا الْمَجْد الدائم مِنْ الْآنَ وإلَىّ الْأَبَد أمِين